

٢٩ - حُرْمَةُ الْمُسْلِمِ وَوُجُوبُ الْأُلْفَةِ

الخطبة الأولى.

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون اتقوا الله، وأصلحوا ذات بينكم، فإن هذه أمتكم أمة واحدة، والله ربكم فاعبدوه واتقوه عباد الله.

أيها المؤمنون.

إن الله تعالى جعل المؤمنين على اختلاف ألوانهم وألسنتهم، وتباين أحوالهم وأنسابهم، جعلهم إخوة في الدين، كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(١)، وهذا يدل على أن المؤمنين مأمورون بكل ما يوجب تألف قلوبهم، واجتماع كلمتهم، وأنهم منهيئون عن كل ما يوجب تفرق جماعتهم، وتنافر قلوبهم، واختلاف كلمتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾^(٢).

وفي "الصحيحين" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وكونوا عباد الله إخواناً»^(٣)، وفي هذا الحديث حث المؤمنين على

(١) سورة الحجرات (١٠)

(٢) سورة الأنبياء (٢٢)

(٣) "صحيح البخاري" (٦٠٦٤)، ومسلم (٢٥٥٩).

اكتساب ما يصيرون به إخواناً متآلفين متعاطفين متراحين.

وقد أكد صلى الله عليه وسلم هذا المعنى في كثير من الأحاديث، ففي "الصحيحين" عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَى وَالسَّهَرِ»^(١).

وفيهما عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»^(٢).

أيها المؤمنون.

إنَّ من أعظم ما جاءت به الشريعة الإسلامية المطهَّرة الألفَة والاجتماع، فنهى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم عن كل ما يؤدِّي إلى الفرقة والبغضاء، وأمر بكل ما تحضَّل به الألفَة والصَّفَاء، فشرَّع لكم من الدِّين ما تجتمع به قلوبكم، ويلتئم به شعثكم، وتلتقي به أفئدتكم، فشرَّع لبعضكم على بعض حقوقاً ثابتة، وفرائض لازمة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٦) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥) .

(٣) أخرجه البخاري (١٢٤٠)، ومسلم (٢١٦٢) .

وهذا الحديث أصل في بيان حق المسلم على أخيه المسلم، فمن حق المسلم على أخيه المسلم أن يسلم عليه إذا لقيه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟! أفشوا السلام بينكم»^(١).

وعلى المسلم عليه أن يرد السلام بجواب مسموع، يكون مثل سلام المسلم أو خيراً منه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾^(٢).

أيها المؤمنون.

إن من حق المسلم على أخيه المسلم النصيحة له، فإن الدين النصيحة، وفي صحيح مسلم عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: «بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة، والنصح لكل مسلم»^(٣).

والنصيحة التي جعلها النبي صلى الله عليه وسلم حقاً للمسلم على المسلم، هي إرشاد المسلمين إلى مصالحهم في دنياهم وأخراهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، برفق وإخلاص، والشفقة عليهم والرحمة لهم، وأن يدبهم على كل خير، يعلمه لهم، وأن يحذّرهم من كل شر يعلمه لهم.

أيها المؤمنون.

(١) أخرجه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦)

(٢) سورة النساء: (٨٦)

(٣) أخرجه مسلم (٥٤).

إن من حقِّ المسلم على المسلمِ محبةَ الخيرِ له، وسلامةَ الصدرِ له، ففي "الصحيحين" قال صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لا يؤمنُ عبدٌ حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه»^(١).

وقد امتدحَ اللهُ المؤمنينَ الصادقينَ بذلك، فقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).

ومن حقِّ المسلمِ على المسلمِ إجابةُ دعوته، ففي "صحيح مسلم" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «من لم يُجبِ الدعوةَ فقد عصى اللهَ ورسوله»^(٣).

ويتأكَّدُ هذا في وليمةِ العرسِ، فهي مندوبٌ إليها، ما لم يكن في الوليمةِ إثمٌ أو عسيانٌ.

أيها المؤمنون.

إن من حقوقِ المسلمين بعضهم على بعضٍ القيامُ بحوائجهم وإعانتهم على أمورِ دينهم ودنياهم، كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ

(١) "صحيح البخاري" (١٣)، ومسلم (٤٥) .

(٢) سورة الحشر (١٠) .

(٣) "صحيح مسلم" (١٤٣٢) .

وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١﴾.

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»^(٣).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "لأن أفضي حاجة مسلم أحب إلي من ملء الأرض ذهباً وفضة"^(٤).

ومن حقوق المسلمين بعضهم على بعض -أيها المؤمنون- العناية بضعيفهم، ورحمة صغيرهم، وإعانة منقطعهم، ففي "الصحيحين" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَحْسَبُهُ قَالَ: وَكَالْقَائِمِ الَّذِي لَا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ الَّذِي لَا يُفْطِرُ»^(٥).

وقال صلى الله عليه وسلم: «بَسَّسَ الطَّعَامُ طَعَامَ الْوَلِيمَةِ، يُدْعَى إِلَيْهَا الْأَغْنِيَاءُ، وَيُتْرَكُ الْفُقَرَاءُ»^(٦).

(١) سورة المائدة (٢).

(٢) "صحيح البخاري" (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

(٤) كثر العمال في السنن والأقوال (١٧٠٤٩).

(٥) "صحيح البخاري" (٥٣٥٣)، ومسلم (٢٩٨٢).

(٦) أخرجه مسلم (٤٣٢).

୩୩୬୩

الخطبة الثانية

أما بعد! فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن أقل ما يجب عليكم لإخوانكم المسلمين كف الأذى عنهم، ففي "صحيح مسلم" من حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أعمال البر، ثم قال: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال صلى الله عليه وسلم: «تكف شرك عن الناس، فإنها صدقة منك على نفسك»^(١).

فمن حق المسلم على المسلم أن يكف عنه الأذى بجميع صورته، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾^(٢).

فللمؤمن يا عباد الله عند الله تعالى حرمة عظيمة، وقد بين ذلك صلى الله عليه وسلم بياناً شافياً، فكان مما يخطب به في الجامع العظيمة: «إن أموالكم ودماءكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا»^(٣). وفي "صحيح مسلم" قال صلى الله عليه وسلم: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه»^(٤).

فاتقوا الله عباد الله، واتقوا عذاب الله وسخطه، فإن عذاب الله إذا جاء لا يرد عن

(١) أخرجه مسلم (٨) .

(٢) سورة الأحزاب (٨٥)

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

القوم المجرمين، احفظوا دماءكم، فلزوال الكعبة أهونُ على الله من إراقَةِ دمِ المسلم، ولا يزأل العبدُ في فسحةٍ من دينه ما لم يُصب دماً حراماً.

واحفظوا أموالكم، ولا تأكلوها بينكم بالباطل، فإنه لا يحلُّ مالُ امرئٍ مسلمٍ إلا بطيبِ نفسٍ منه، وأثما لحمٍ نبتَ من سُحتٍ فالنارُ أولى به.

واحفظوا أيها المؤمنون أعراضكم، وإيّاكم والغيبة، فإنها بسّ قرينة الرجل، أيحِبُّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه، وإياكم والنميمة، فإنه لا يدخل الجنة نمامٌ، وإيّاكم وسوء الظنِّ بإخوانكم المسلمين، فإن الظنَّ أكذب الحديث، وسوء الظنِّ بالمسلم العدل يُنبئ عن سوء الطّوية، وفساد السريرة:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونُه وصدق ما يعتاده من توهم^(١)

وإياكم -يا عباد الله- والسبَّ واللعنَ والطعنَ، فليس المؤمنُ بالطَّعانِ ولا بالعَّانِ ولا بالفاحشِ البذيء، وإياكم -يا عباد الله- وتتبع عورات المسلمين فإنه من تتبَّع عورة أخيه المسلم تتبَّع الله عورته، حتى يفضَّحه في بيته ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

فاتقوا الله عباد الله، فإنه لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وفي "صحيح مسلم" قال صلى الله عليه وسلم: «من أحبَّ أن يُرحَّزَ عن النار، ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يُحِبُّ أن يؤتى

(١) قرى الضيف ٢٦١/١.

(٢) سورة النور (١٩)

إليه»^(١).

٥٥٥٥٥٥٥٥

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٤).